

أزمة الخطاب الفلسفي المعاصر ومحاولة تجديد المفاهيم الفلسفية ومنطلقات فلسفية للفكر العربي المعاصر

مصطفى عبده خير^(*)

الأزمة المعاصرة ليست أزمة اقتصادية أو سياسية أو عسكرية، فهي "أزمة فكرية" بالدرجة الأولى، وللأسفة دورها الحضاري في التطور الحضاري الفكري "المادي والمعنوي"، وللأسفة دورها الرائد في بلورة الفكر الإنساني عبر عصوره الفلسفية. الإنسان المعاصر حائر وجائر في نفس الوقت، قلق ومتهور، بل أصبح كأننا غير مبالي، لا شيء يلهمه، ولا شيء يحرك كوامن وجوده الباطن، فلا يستشعر أية دهشة، أو تعجب، أو حماسة أو أي إجلال وأصبح ينزلق فوق سطوح الأشياء. والإنسان الذي نريده أن يكون واعيًا بنفسه وما حوله ويتمتع بقوة نفاذة ليتنوق قيم الحياة بكل ما فيها من وفرة وامتلاء وخصوبة. ومهمة الفيلسوف هي الأخذ بيد ذلك الإنسان المنزلق لكي يسترد عافيته، تلك الحاسة الإنسانية ليرى الجمال ويدرك المعاني ويحس بالجمال ويعمل بمقتضى الجمال. لتحويل العالم من المرتبة الطبيعية الصرفة إلى المرتبة الإكسيولوجية الحقيقية. العالم الغربي والشرقي ينحدر نحو الهاوية كل على سفح مختلف. فيجب إنقاذ العالم من هذا التردي والواقع المهيمن.

(*) . أستاذ بجامعة النياين، قسم فلسفة، السودان، ٢٠٠٦.

فقد صاح من قبل أب الفلسفة "سقراط" "أعرف نفسك بنفسك" وقد قالها من قبل الإله "إبادمأك" إله النوبة "النقعة والمصورات" - الحضارة المروية بالسودان - عندما كان ممسكا بمرآة في يده ينظر إلى نفسه بنفسه ليعرف نفسه بنفسه^(١). ونحن نصيح نفس الصيحة "أدركوا ذلك الإنسان الذي نسي نفسه بنفسه". في خضم الثورة التكنولوجية الرهيبة والثورة البيولوجية المرعبة التي صنعها بنفسه ونسي نفسه خارجاً عنها.

للغرب قراءة أحادية مع أنها عرجاء وعوجاء وهوجاء، إلا إنهم قرؤوا بها ولهذا كان التفوق الحضاري والغلبة الفكرية والمادية، ولكننا لنا ثلاثة قراءات ولا نقرأ بها "أمية حضارية".

القراءات الثلاثة:

١- قراءة الكون كتاب الله المنظور - الوجود - عالم المادة.

٢- قراءة الوحي كتاب الله المقروء - القرآن - عالم الروح.

٣- قراءة النفس كتاب الله المحفوظ - الإنسان - عالم المعرفة.

وحجم التغيرات التي أصابت وتصيب عصرنا هائل في تأثيرها على البنى الاجتماعية والاقتصادية والمعرفية لمستقبل البشرية وواقع الهيمنة الغربية التي تفرضها حالة الجذب والطرده، وصلتنا بالغرب لا تتجاوز ثلاثة محاور: استتباع أو استتعاء أو استلها، فالاستتباع تبعية مذلة واسترقاق حضاري، والاستتعاء انتحار حضاري، فلا يبقى غير الاستلها التراثي والتحاور الحضاري على المائدة الحضارية ومشاركة ندية.

(١). إشارة من الدكتور محمد المجتبي - أستاذ الفلسفة بجامعة النيلين - في مناقشة عن الفكر

النوبي في الحضارة المروية بالسودان .

ولهذا التردّي الحضاري والتهديد القمعي الغربي للعرب، تصدى لهذا التهديد نفر من مفكري العرب بأطروحات دفاعية لمشروع تصدي حضاري جديد^(١). وفي هذه الورقة لا أستطيع الكتابة عن هؤلاء النفر الكرام لأن كل فرد منهم يحتاج لمؤتمر خاص به لكثافة كتاباتهم الفلسفية- فأوزانهم ثقيلة- لا تتحملها هذه الورقة الابتدائية لمراجعة أعمالهم الفلسفية والسبر في أغوار مفاهيمهم الفكرية، ولكل منهم منطلق خاص ينطلق من خلاله:

- ١- أ.د. حسن حنفي: الفكر التصاعدي من النقل إلى الإبداع وقيادته لثورة فلسفية.
- ٢- أ.د. طيب تيزيني- ومشروع رؤية جديدة للفكر العربي من التراث إلى الثورة.
- ٣- أ.د. محمد أركون- تفكيك مفهوم العقل من خلال مساءلة العقل.
- ٤- أ.د. محمد عابد الجابري- التوازن في التحليل البنيوي وقراءة جديدة للنص.
- ٥- أ.د. نصر حامد أبو زيد- سلطة النص وتجديد المفاهيم وتمديد المجال الإبداعي .

(٢). أنظر في إعادة كتابة التراث في كتابات كل من حسين مروة، والطيب تيزيني، ومحمد عابد الجابري، ومحمد أركون، وحسن حنفي، وعاطف العراقي ونصر حامد أبو زيد. = وأنظر أيضاً كتابات سيد قطب، حسن الترابي، ومحمد قطب، ومحمد الغزالي، ومحمد عبد الله دراز، والشعراوي .

وعليه سيكون بحثنا من خلال منطلقاتهم الفكرية والفلسفية بالإشارة الطفيفة إلى أقوالهم ومحاولاتهم في استتبعاء العقل العربي في مجرى التاريخ، وهناك محاولة لاستبعاد العقل العربي وتاريخ الفكر العربي وطمث الخطاب الفلسفي "العربي" المعاصر، منذ عهد انحطاط الحضارة العربية الإسلامية وتدهورها بعد أن كانت منتصرة في الفترة الأولى ما بين القرن السابع الميلادي إلى القرن الرابع عشر الميلادي، حيث توقف الإبداع العربي بعد "ابن رشد" في الغرب و"صدر الدين الشيرازي" في الشرق "إيران".

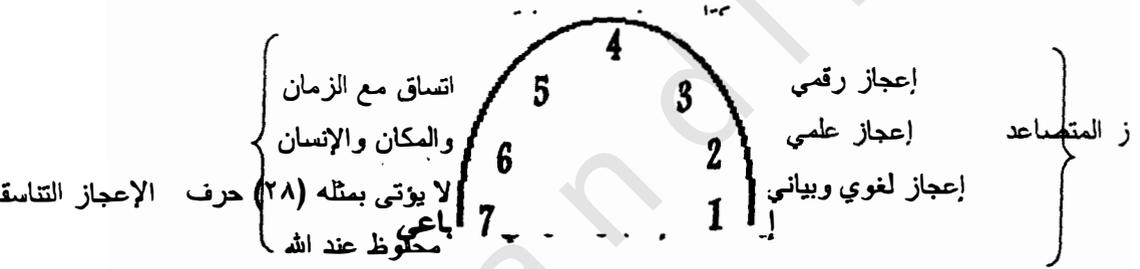
والحضارات تسير على منحى سباعي بدءًا بالإقلاع الحضاري والنهوض والانطلاقة حتى تصل إلى التآلق الحضاري، لتتدنى وتتحدّر فتسقط للقاع، والتاريخ القديم والحديث خير شاهد على ذلك لحضارات سادت ثم بادت^(١).



(١). ارجع للإيقاع الكوني السباعي والرابع المتآلق- منظور جديد للنظام الكوني وتناسقه وتناعم وحداته المتناسقة- مقال محكم: مجلة القياس النفسي- جامعة غزة العدد ١٥- فبراير ٢٠٠٠م، ومجلة حوض النيل- العدد الثاني- يوليو ٢٠٠٠م، لمصطفى عبده .

إلا أن الحضارة الإسلامية لا ولن تسقط للقاع، وذلك لأن الحضارة الإسلامية مستمدة من الإسلام والقرآن، والقرآن محفوظ عند الله لقوله تعالى "إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون" وعطاءات القرآن متجددة عبر الأزمنة والأمكنة، والقرآن يحمل في طياته مفاهيم متجددة متنسقة مع الزمان المتغير والمكان المتجدد والإنسان التبدل كمعجزة زمانية أبدية من خلال أسباب النزول "المكاني" وغاية النزول "الزماني" الممتد .

التألق الإعجازي



ولكننا ومع ذلك فإننا نسير على نفس المنحنى ولكن ليس سقوطاً للقاع ولكننا في حالة استنقاغ. فكان لا بد من الخروج من هذه الحالة الاستنقاغية، والبروز على السطح لتنفس هواءاً نقياً، ولرؤية الأشياء بوضوح برؤية بصرية واستبصارية. ولتطبيق مدلولات القرآن تطبيقاً واقعياً على الحياة المعاشة، فالقرآن لغة السماء بألفاظ عربية بالكلمة المنطوقة والمقروءة ليطبقها الرسول تطبيقاً بشرياً على الأرض - القرآن الحي الطبق على الواقع من خلال الإيقاعات الكونية في حركتها الدائبة :

- ١- الإيقاع الزماني وعطاءاته المتغيرة المتتالية - سيال ديمومي .
- ٢- والإيقاع المكاني وعبقرياته المتجددة المتوالية - تفجر مننام .

٣- والإيقاع الإنساني وإبداعاته المتبدلة المتعالية- إبداع متناغم .

• العطاءات القرآنية تتجدد مع الإيقاع المكاني والمكاني والإنساني "انزكان"

على حسب الواقع المتغير. فلم يفسر الرسول صلى الله عليه وسلم القرآن حتى لا يكون تفسيراً توقيفياً، وذلك ليسع القرآن الحركة الإنسانية والتطور العلمي وحل المشكلات المتغيرة والمتصاعدة، فقد تنزل القرآن بإيقاعات القرن السابع الميلادي ولهذا فهمه إنسان القرن السابع بدون تفسير، فلم يسأل أحد عن معاني فواتح السور "الم - المر - حم-....." ونجد لها معاني كثيرة فإذا ما حذفت الحروف المكررة تبقى حروف غير مكررة من أربعة عشرة حرفاً تكون جملة "صى حكيم قاطع له سر".

إذن كان لابد من الارتقاء إلى مستوى الإيقاع القرآني حتى يتم التفسير الموضوعي من خلال سبب النزول "المكاني" وغاية النزول "الزماني" الممتد "سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق".

وذلك لتفسير الواقع باستخدام المناهج العلمية بمرجعية نصية وتراثية لغايات إبداعية، وتوظيفه في خدمة مصالح العباد.

حتى الناسخ والمنسوخ له مكان في التفسير، فالمنسوخ ليس هو إلغاء للآية بل له تفسيره في موقعه المناسب فلا ناسخ ولا منسوخ، ويمكن استخدام الناسخ والمنسوخ في أماكن معينة وأزمنة بعينها لتناسب غاية النزول والاستخدام الأمثل للواقع القرآني، فقد استخلف الإنسان على الأرض ليعمر الأرض بالإبداع وليس لتدميرها. والانتقال من الإبداع إلى "ممارسة الإبداع، وتمديد المجال الوظيفي للإنسان من المستوى البيولوجي إلى المستوى الإنساني والإبداعي، والانتقال من وظيفة التواصل لكشف البعد الإنساني.

يعتمد "محمد عبد الجابري" على منهج التحليل البنيوي، يبدأ في قراءته للنص القرآني في محيطه الاجتماعي الخاص، أي يجعله معاصراً لنفسه ومحيطه الاجتماعي،

ويضيف الجابري بأن المصلحة العامة هي الأساس في أتباع النص أو في تجاوزه وفي ارتباط النص بلحظته التاريخية والاجتماعية^(١).

يحاول "محمد أركون" تجديد دراسة الكتاب العظيم وإعادة الفهم. وي طرح مشاكل معقدة بخصوص التفسير مشاكل عامة تخص وجود الآيات التشريعية في النص الموحى، وهو هنا يطرح مشكلة ثيولوجية لحاجة الفكر الإسلامي إلى اجتهاد تجديدي ثيولوجي على كافة الأصعدة.

ويرى "أركون" ضمناً واعتماداً على موقف الفخر الرازي في رفضه للنسخ باعتباره أمر يمس العصمة الإلهية لأنه لا تبديل لكلمات الله. فقد أراد "أركون" أن يبين تأثير التوازنات الاجتماعية على تأويل النص.

تجاوز "محمد أركون" النظرة التراثية "السلفية" والنزعة الاستشراقية إلى الأصول حافظاً منقّباً، وإخضاعها للنقد والتفكيك، فلا يقتصر على الأحاديث والتفاسير، ولا يكتفي بتفكيك الأنساق الفقهية والمنظومات العقائدية. بل توغل في نقده وتفكيكه وصولاً إلى الأصل الأول أي إلى الوحي القرآني^(٢).

(١). عبد الهادي عبد الرحمن- سلطة النص- قراءات في توظيف النص الديني- الطبعة الثانية- الانتشار العربي- سيناء للنشر- القاهرة، ص-٢٢٣.

(١). أحمد عبد الحليم- ما بعد الحداثة أوراق فلسفية، ص-١٤٤.

(١). علي حرب - نقد النص- المركز الثقافي العربي - ص-٧٥

والمقصود بمنهجية التفكير، تفكير الميتافيزيقا الكلاسيكية والأنظمة الثيولوجية الموروثة، فقد ركز نقده وتفكيكه بالدرجة الأولى على الخطاب الإسلامي وتجلياته بدءاً من النص القرآني ذاته وانتهاء بكل ما انتظم حوله من نصوص وخطابات. والقراءة التفكيكية قد تميط اللثام عن السمات المشتركة لجميع العقائد^(١). وكما يقول "أركون" أن الظاهرة الدينية بشكل عام تظل حتى الآن شيئاً لا مفكر فيه داخل الفكر العربي الإسلامي^(٢). وإن التفكير يسعى إلى استتطاق خطاب الحقيقة عن بداياته المتحجبة. لقد خلخل أركون الأسس التقليدية والتصورات الراسخة بعناد من الجهتين الإسلامية والاستشراقية، كما يتضح ذلك في طريقة تناوله لمسألة العلمنة في

(١). محمد أركون- الفكر الإسلامي نقد واجتهاد- ترجمة وتعليق هشام صالح بيروت، ص-

١٠.

(٢). ارجع لمقال د. محمد وقيع الله بعنوان محمد أركون وعلمنة الإسلام بمجلة أفكار جديدة- مجلة فصلية تصدر عن هيئة الأعمال الفكرية السودان- العدد الحادي عشر- مارس ٢٠٠٥ الصفحات (٣٤-٥٧) .

(٣). محمد أركون: من فيصل التفرقة إلى فصل المقال- ص١٢٤ .

(٤). أحمد عبد الحليم ما بعد الحداثة، ص١٤٧. مقتبس من كتاب العلمنة والدين لأركون ترجمة وتعليق هشام صالح.

الإسلام^(١). فيقول محمد أركون: لا يمكن التسامح أن يترسخ إلا بعد تفكيك هذه الهويات الثابتة والجامدة والراسخة منذ عدة قرون^(٢).

وهذا المنهج النقدي الجرنئي الذي سلكه أركون يفتح عليه أبواب الانتقادات لهذا المسلك النقدي الذي اقتحم الممنوع^(٣).

وقد قامت معارك حول نصوص "نصر حامد أبو زيد"، وهي تؤكد فهمنا لوطأة الحالة الجديدة التي تعيشها الثقافة العربية الإسلامية، ورد النص بالنص لا بالتسلط الكهنوتي^(٤) لمعرفة قراءته للنص وتجديد المفاهيم القرآنية وتمديد المجال الإبداعي لفهم المعاني وإعطاء فسحة للعقل والفكر الممتد والحرية الإنسانية.

ويضع "حسن حنفي" قواعد سبعة لإعادة تركيب النص^(٥):

١. تفتيت النص المنقول وتحليله.
٢. إعادة تركيب النص طبقاً للتصور الإسلامي.
٣. إسقاط جميع الأمثلة من ثقافة الغير.
٤. وضع أمثلة أخرى وشواهد جديدة.
٥. إكمال النقص في النص المنقول.
٦. التصحيح وإعادة التحقيق.

(٥). أرجع لكتب وكتابات نصر حامد أبو زيد في رأيه عن سلطة النص وتجديد المفاهيم وتمديد المجال الإبداعي لفهم المعاني.

(١). مركز دراسات الوحدة العربية- بحوث المؤتمر الفلسفي العربي الثاني مقال للدكتور حسن حنفي بعنوان الفلسفة والتراث، ص ٣٩١.

٧. إعادة الأطراف إلى الوسط من أجل إكمال التصور الشامل.

وهي المحاور التي يمكن اتخاذها في المنهج الثوري بالانتقال من النقل إلى الإبداع، وقيادة ثورة فلسفية قيادة قاندة وقادرة، انطلاقاً من التراث إلى الثورة المبدعة، من النقل إلى العقل وإلى المجال الإبداعي.

ما نعنيه بالتراث هو التراث الفلسفي القديم ونعني بالفلسفة الفلسفة الغربية الحديثة والمعاصرة. فالتراث هو التراث الفلسفي العربي القديم المقيم، والفلسفة من الغرب، يعني ذلك أن "الأخر" هو الحديث المعاصر، وأن "الأنا" هو التأريخ القديم كما يعرفه حسن حنفي، فإذا كان التراث يعبر عن "الأنا" والفلسفة تعبر عن "الأخر" فإن علاقة التراث بالفلسفة هي علاقة صراع بين الأنا والأخر ويكون الصراع بين "الأنا والأخر" يكون في الواقع المباشر. فهناك تراث عربي قديم "السلفية" وتراث عربي حديث "العلمانية" وواقع حاضر "الإصلاحية". ويرد فائلاً متساءلاً: "ما زلنا نفرق بين الفرق دون محاولة للجمع بين الفرق" كان التصوف حركة مقاومة سلبية بعد استحالة المقاومة الفعلية، ومازلنا ندرس التصوف كحركة خروج من العالم بينما العالم ينزل من بين أيدينا فاقدين السيطرة عليه ثم يأتي الغير كبديل عنا ليحل محلنا^(١)، وهذه أزمة فكرية في غياب العقل العربي وفقدنا الإحساس بالواقع حتى كان الانهيار، فلا بد من صحوة.

إن لابد من عمل في تصديق النظر وتحقيقه بالفعل فالإيمان نطق باللسان وتصديق بالجان وعمل وبيان. فإذا ما تصفحنا الآية (٣٨) من سورة الشورى في قوله تعالى: ﴿والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون﴾ نجد أن إقامة الصلاة تليها إيتاء الزكاة إلا في هذه الآية ﴿وأمرهم شورى بينهم﴾.

(١). حسن حنفي - مركز دراسات الوحدة العربية - ص ٣٧٣.

وأمرهم شورى بينهم "معاملات" وحركة حياتية وسياسية واجتماعية بين عبادتين الصلاة والإنفاق أي الزكاة والصدقة، والمعاملات أي العادات والحركة الحياتية رابطة بين عبادتين فالصلاة عبادة بين العبد والرب والزكاة والإنفاق عبادة بين العبد وأخيه الإنسان، بينهما التشاور والتعامل الشوري الديمقراطي^(١).

هذه الإشارة الإبداعية تتجلى في المعاملات وتحويلها إلى عبادات تحقيقها لقوله تعالى: "وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون" فالمعاملة الشورية هي عبادة واستقامة فالأصل في العبادات المنع ما لم يرد نص بالإذن، والأصل في المعاملات الإباحة ما لم يرد نص بالتحريم، وذلك في الإبداع في المعاملات والعبادات، وهذه الآية مكية "وأمرهم شورى بينهم" في الحياة الاجتماعية أما في المدينة فكان اللفظ القرآني "وشاورهم في الأمر" إشارة إلى ضرورة المشاورة في الدولة والأمر بالشورى هنا للنبي المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى فما بالك بالحكام الطغاة الذين لا يشاورون ولا يتشاورون، فالحكم ليس حكمًا على الناس، بل هو حكم بين الناس، فلم ترد آية واحدة "حكم على الناس" وقد وردت^(٢) آية حكم بين الناس.

وبهذا استخلف الإنسان في الأرض "إني جاعل في الأرض خليفة" ليس بالمعنى الغربي للإنسان المتعالي السيوبرمان سيدًا على الأرض، وليس بالمعنى الشرقي

(٢). من مقابلة مع البروفيسور حسن علي الساعوري، أستاذ الدراسات السياسية ومدير جامعة النيلين عندما نبه إلى هذه الرابطة العملية بين العبادة والعادة من خلال لقاء تليفزيوني، وهي إشارة بديعة في تحويل العادات إلى عبادات وما يتبع ذلك من عمل شورى عبادي.

(١). فتحي التريكي - الفلسفة الشريفة - مركز الإهراء القومي - بيروت - ص ٣١-٣٣.

المحتقر الذي يفنى في النيران، بل هو الإنسان النبيل المتعالي على الدنيا والخطايا والرزايا ليعمر الأرض بالعمل الصالح.

فكان لابد من أسلوب خطابي جديد من خلال قراءة جديدة للتراث. والفلسفة بحث في الوجود وسارت الفلسفة مع التطور الإنساني الفكري والبناء الحضاري.

وللتعرف على الفلسفة في مجتمعاتنا العربية علينا أولاً التعامل مع التراث بإحيائه وتدقيقه وضبطه من خلال الفلسفة. وما الفلسفة إلا عملية تشخيص للواقع المعاش، يكون ذلك بتجاوز طابع النقل والتقليد والاتباع والمسايرة إلى الإبداع والمبادرة، وعلى ألا تكون من خلال قراءة تراجعية وارتكاسية كما يقول محمد عابد الجابري، والخطاب الفلسفي العربي يعمل خارج الإطار الفلسفي كما يقول طيب تيزيني^(١).

وقد هدف "طيب تيزيني" إلى تحليل تطور قضية العالم المادي- الوجود المادي بأشكاله الأساسية، ويصبح الإنسان جزءاً مكملاً للوجود المادي^(٢).

وفي المقابل كانت الفلسفة المثالية المتمثلة في أبي الحسن الأشعري والغزالي لتأطير الواقع والفكر. ويحاول تيزيني استجلاء وحدة الفكر العربي منذ القرن السابع حتى العصر الحديث في اكتشاف وإبراز المعالم الثورية من هذا الفكر لصهرها على نحو خلاق في بوتقة الكفاح العربي والإنساني من أجل التحرر الاجتماعي، وذلك للانتقال من التراث إلى الثورة، وكان هدفه اكتشاف الجسور التي تفصل بين الجوانب الحسية الثورية في تراثنا وبين الفكر الثوري المعاصر لينضم تيزيني إلى المفكرين في إثارتهم للتراث والانتقال من النقل إلى الإبداع.

(٢). طيب تيزيني- مشروع رؤية جديدة للفكر العربي في العصر الوسيط- دار دمشق- ١٩٨١- ص ٤٠٨.

(٣). المرجع السابق- ص ٤١٠.

يحاول طيب تيزيني استجلاء الجوانب الحسية الثورية المادية عبر تاريخ الفلسفة منذ العهود الأولى للتفلسف والمعرفة الفكرية، بدءًا ببدايات الفكر الفلسفي ما قبل سقراط وبعد سقراط والانتقال إلى الفكر العربي الإسلامي عند الكندي والفاواري وابن سينا وابن الطفيل في نشوء وتبلور الفكر الاجتماعي المادي عند ابن خلدون وانتهاء بابن رشد ووصولاً بالفكر العربي الإسلامي قمته وبلورة هذه الثورات المتتابعة في مشروع رؤية جديدة للفكر العربي ليجد المشروع القومي العربي مبرر وجوده في الوجه الجديد آخذًا بالتراث بإحداث ثورة فكرية من التراث إلى الثورة.

ويختتم طيب تيزيني في نهاية كتابه "مشروع رؤية جديدة"، هكذا نجد أن الفكر الإسلامي الوسيط في خصوبته الضخمة بدءًا من المحاولات الأولى لابن المحبر ومرورًا بالمعتزلة وانتهاءً بابن خلدون وابن رشد، أنه فكر حي إنساني وموسوعي وأصيل، وكذلك الجانب المناوئ للذين أخذوا بالذرية الإسلامية يشكل خطوة إيجابية على طريق مجابهة الأيديولوجيين والإقطاعيين والاحتجاج عليها.

وهذا التراث العملاق يتطلب أخذ موقف ملتزم منه موقف يعيد الاعتبار للجوانب المشرقة منه، ويقم الجوانب المظلمة على نحو علمي دقيق. هذا يعني أن إعادة النظر تلك شوط أولي من أجل خلق وضوح وتماسك علميين بالنسبة إلى القضايا الاجتماعية والقومية والفكرية المطروحة في وطننا العربي الكبير والصغير.

ويقول طيب تيزيني أن "الحقل الفلسفي يشتمل على ثلاثة أنساق هي نظرية الوجود الأنطولوجيا" ونظرية المعرفة ونظرية الممارسة "الفعل الإنساني"^(١).

(١). مركز دراسات الوحدة العربية- الفلسفة العربية المعاصرة- فيما بين الفلسفة والتراث-

طيب تيزيني- ص ٤٠٤- المؤتمر الفلسفي الثاني.

ونحن نقول أن الأنساق الفلسفية تتمحور في مبحث الوجود، ونظرية المعرفة، ومبحث القيم من خلال الفعل الإنساني، فالفلسفة في نظرنا بحث في الوجود المدرك من خلال نظرية المعرفة لإنسان مدرك للبحث عن القيم قيم الحق والخير والجمال. ووجود الإنسان يختلف عن وجود الكائنات الأخرى وعن وجود باقي الأشياء، فوجود الإنسان هو وجود مدرك لموجودات مدركة، أي الوجود الإنساني الفعّال Existence وليس الوجود البسيط "Being". وهي المسافة الواعية بين الإنسان وباقي الكائنات فللحيوانات وعي ولكنه وعي أحادي أما الإنسان فوعيه مزدوج أي أنه يعي أنه يعي "وعى الوعى"، لتحقيق حق الاستخلاف وتعمير الأرض بالإبداع، إبداع فني وعلمي وعملي وأدبي وفلسفي فكري وعقائدي الإبداع الحضاري.

للكون قانونه "الحتمية" وللإنسان قانون "الحرية"، فما هي الصلة بين الحتمية الكونية والحرية الإنسانية؟ وهو الضابط الجمالي. إذ أن دائرة القانون أضيق الدوائر لأنها ضابطة للإنسان في المجال الظاهري فقط، ودائرة الدين أوسع من دائرة القانون لأنها ضابطة للظاهر والباطن، أما دائرة الأخلاق أوسع من دائرة الدين فدائرة الدين ضابطة لمن يتدين بذلك الدين، أما دائرة الأخلاق فهي ضابطة للإنسانية تليها الدائرة الجمالية وهي أوسع الدوائر لأنها ضابطة لكل الكائنات، وما نعينه بالضبط هو ضبط حدود وليس ضبط قيود^(١).

(١). مصطفى عبده- الفلسفة التطبيقية لخدمة قضايانا القومية في ظل التحديات المعاصرة-
الدار المصرية السعودية للنشر- تحرير د. مصطفى النشار- الموقف الأخلاقي من
الثورة البيولوجية والاستنساخ الحيوي- ص٣٣٧.

فالأخلاق المغلقة الاتباعية تؤدي إلى الصراعات والحروب، أما الأخلاق المنفتحة الإبداعية تؤدي إلى السلام والطمأنينة، ويقول حسن حنفي: "وضاعت عن النفس الطمأنينة والسكينة وحياة السلام وتحولت إلى حياة حرب وتضاد وصراع"^(١).

وعلى الإنسان أن يترقى ويتسامى من خلال اعتقاد خاشع إلى إيمان وتقوى ليتألق في مرتبة الإحسان ليكون مطمئناً لسلام داخلي و سلام خارجي بإبداع الأخلاق المتجلمة الإبداعية.

ويلخص "حسن حنفي" موضوع الانطلاقة الإبداعية بقوله: "يمكن إذا لجينا النظر إلى المنطق ككل واحد، منطق العقل الخالص عند الفلاسفة، ومنطق الشعور عند الصوفية، ومنطق الواقع عند الفقهاء، مضيفاً عليه الجدل الاجتماعي ومنطق التاريخ"^(٢).

ونضيف نحن على الإنسان أن يتسق مع الإيقاعات الكونية الزمان والمكان والإنسان، والقراءة المتعددة في قراءة الكون والوحي والنفس، والسير عبر المعابر الثلاثة:

١. باعتقاد خاشع يصل حد التقوى الجالية من خلال عقل يستقرئ الحق، أي بحق يُعقل "الحق".
٢. واختيار حر ملتزم بحدود الحرية "حرية إنسانية" يصل حد الاستقامة الخلقية من خلال إرادة تستقطب الخير، أي بخير يُراد "الخير".

(١). حسن حنفي- المؤتمر الفلسفي الثاني- مركز دراسات الوحدة العربية- الفلسفة

والتراث- ص ٣٨٠

(٢). المرجع السابق نفسه- ص ٣٩٨.

٣. وإبداع رائع يصل حد الروعة الجمالية، من خلال حس يستقطر الجمال،
أي بجمال يُحس به "الجمال".

وذلك بتحقيق القيم الثلاثة في الحق والخير والجمال من خلال الفعل الإنساني
بإبداع القيم واستيقاظ النفس لترى الجمال لتعمل بمقتضى الجمال عندما يكون خاشعًا
نقيًا ومبدعًا نقيًا وحرًا وفيًا.

لا يسعنا إلا أن نتوقف هنا حتى نتمكن - في وقت أوسع - من سبر أغوار الفكر
العربي الإسلامي المعاصر لمفكري العرب في محاولتهم تجديد المفاهيم، وبعث العقل
العربي الإسلامي من جديد انطلاقًا من التراث إلى الثورة وإلى المجال الإبداعي لبناء
حضارة إنسانية جمالية.

.....

رقم الإيداع

2003/12318
